كان فقيها محدثا كاملا ومن انفرد بالثاني منهما كان دونه الا ان من اقتصر
على الثاني والثالث فهو محدث صرف لا حظ له في اسم الفقيه كما ان من
انفرد بالاول فلا حظ له في اسم المحدث ومن انفرد بالاول والثاني فهل يسمى
محدثا فيه بحث انتهى وفي غضون كلامه ما يشعر باستواء المحدث والحافظ
حيث قال فلا حظ له في اسم الحفاظ والكلام كله في المحدث وقد كان السلف
يطلقون المحدث والحافظ بمعنى كما روى ابو سعد السمعاني بسنده الى
ابي زرعة الرازي سمعت ابا بكر بن ابي شيبة يقول من لم يكتب عشرين
الف حديث املا لم يعد صاحب حديث • وفي الكامل لابن عدي عن جعفر
البقلي قال سمعت هشيما يقول من لم يحفظ الحديث فليس هو
من اصحاب الحديث والحق ان الحافظ اخص • وقال التاج السبكي
رحمه الله في كتابه معيد النعم من الناس فرقة ادعت الحديث فكان قصارى
امرها النظر في مشارق الانوار للصاغاني فان ترفعت الى مصابيح البغوي
وظنت انها بهذا القدر تصل الى درجة المحدثين وما ذلك الا بجهلها
بالحديث فلو حفظ من ذكرناه هذين الكتابين عن ظهر قلب وضم
اليهما من المتون مثليهما لم يكن محدثا ولا يصير بذلك محدثا حتى يلج
الجمل في سم الخياط فان رامت بلوغ الغاية في الحديث على زعمها اشتغلت
بجامع الاصول لابن الاثير فان ضمت اليه كتاب علوم الحديث لابن
الصلاح او مختصره المسمى بالتقريب والتيسير للنووي رضي الله عنه
ونحو ذلك وحينئذ ينادي من انتهى الى هذا المقام محدث المحدثين وبخاري
العصر وما ناسب هذه الالفاظ الكاذبة فان من ذكرناه لا يعد محدثا
بهذا القدر انما المحدث من عرف الاسانيد والعلل واسما الرجال والعالي
والنازل وحفظ مع ذلك جملة مستكثرة من المتون وسمع الكتب
الستة ومسند احمد بن حنبل وسنن البيهقي ومعجم الطبراني وضم
الى هذا القدر الف جزء من الاجزاء الحديثية هذا اقل درجاته فاذا سمع

قليل

قليل المعرفة والخبرة • يمشي ومعه اوراق ومحبرة • معه اجزاء يدور
بها على شيخ ومحبون • لا يعرف ما يجوز مما لا يجوزه • ومحدث قد صار غاية
له اجزاء يرويها عن الدمياطي •
وفلانة تروي حديثا عاليا • وفلان يروي ذاك عن اسباط •
والفرق بين غريبهم وعزيزهم • وافصح عن الخياط والحناط •
وابو فلان ما اسمه ومن الذي • بين الانام ملقب بسناط •
وعلوم دين الله نادت جهرة • هذا زمان فيه طي بساطي •
وقال الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله انه سال الحافظ جمال الدين
المزي رحمه الله عن حد الحفظ الذي اذا انتهى اليه الرجل جاز ان يطلق عليه
الحافظ • قال يرجع الى اهل العرف فقلت وان اهل العرف قليل جدا
قال اقل ما يكون ان يكون الرجال الذين يعرفهم ويعرف تراجمهم
واحوالهم وبلدانهم اكثر من الذين لا يعرفهم ليكون الحكم للغالب فقلت له
هذا عزيز في هذا الزمان ادركت انت احدا كذلك فقال ما راينا مثل
الشيخ شرف الدين الدمياطي ثم قال وابن دقيق العيد كان له في هذا
مشاركة جيدة ولكن اين السهى من الثريا فقلت كان يصل الى هذا
الحد قال ما هو الا كان يشارك مشاركة جيدة في هذا اعني في
الاسانيد وكان في المتون اكثر لاجل الفقه والاصول • وقال الشيخ
فتح الدين بن سيد الناس • واما المحدث في عصرنا فهو من اشتغل
بالحديث رواية ودراية وجمع رواة واطلع على كثير من الرواة والروايات
في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه خطه واشتهر فيه ضبطه فان توسع
في ذلك حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه طبقة بعد طبقة بحيث
يكون ما يعرفه من كل طبقة اكثر مما يجهله منها فهذا هو الحافظ قال
واما ما يحكى عن بعض المتقدمين من قولهم كنا لا نعد صاحب حديث
من لم يكتب عشرين الف حديث في الاملا فذلك بحسب ازمنتهم انتهى
وسال شيخ الاسلام ابو الفضل بن حجر شيخه الحافظ ابا الفضل

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)